

سلسلة "علوم الدين للجميع"
(2)

الإيمان بالكتب الإلهية

محمد العراقي الحسيني

الدار البيضاء - المغرب
رمضان 1430 - غشت 2009

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰی سَیْدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ

الإيمان بالكتب الإلهية

الحمد لله الذي هدانا للإيمان وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. حمده تعالى ونشكره ونثني عليه الثناء الحسن ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو. واجب الوجود. الحق المطلق. كل شيء هالك إلا وجهه. تقدس وتمجد وتعالى على أن ينفعه شكرنا وشهادتنا أو أن يضره إعراضنا وإنكارنا. فهو القادر علينا القاهر فوقنا. ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده القائم في محراب العبادة على أتم وجه وأخلص قلب. ورسوله الذي رحم الله به العالمين حيث أنار لهم طريق الحق والهداية. صلى الله عليه صلاة كاملة تامة مباركة طيبة وسلم تسليما كثيرا وعلى آله وأصحابه الأخيار وأمته خير الأمم.

نتابع بتوفيق الله سلسلة الإيمانيات وخصص موضوع هذا البحث للحديث حول الكتب المنزلة. ونعلم جميعا أن الحقائق الوجودية التي يتعين على المسلم الإيمان بها ستة كما ورد في جواب النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره (رواه مسلم).

سنتناول المحاور التالية :

1. ما الذي ينبغي الإيمان به فيما يتعلق بالكتب المنزلة ؟
2. ما هي المسائل التي حرفت في الكتب الإلهية التوراة والإنجيل ؟
3. كيف حرف اليهود والنصارى التوراة والإنجيل ؟

ما الذي ينبغي الإيمان به فيما يتعلق بالكتب المنزلة ؟

1. ينبغي الإيمان بالكتب التي بعث بها الرسل إلى أقوامهم. نؤمن بها إجمالاً بالنسبة لما لم يأت به تفصيل وذكر أسماء. قال تعالى : "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون. كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله" (سورة البقرة 285).

2. نؤمن بالكتب المنزلة بأسمائها بالنسبة لما ورد تفصيل في شأنه. فقد ذكر القرآن الكريم من الكتب المنزلة أربعة : التوراة وهو كتاب موسى عليه السلام والزيور وهو كتاب داوود عليه السلام والإنجيل وهو كتاب عيسى عليه السلام والقرآن وهو كتاب نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى : إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيئون الذين أسلموا للذين هادوا (أي من اليهود). وقال تعالى : ولقد فضلنا بعض النبيئين على بعض وآتيننا داوود زيورا (الإسراء 55). وقال تعالى : ثم قفينا (أي بعثنا) على آثارهم برسلانا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل" (الحديد 27). وقال تعالى مخاطبا رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا" (الإنسان 23).

3. كما ذكر القرآن الكريم صحفا غير هذه الكتب الأربعة فيلزمنا الإيمان بها. قال تعالى "إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى" (الأعلى 19). قال صاحب صفوة التفاسير : صحف موسى غير التوراة. وقد ورد أن موسى عليه السلام أعطي عشر صحف وكانت كلها عبرا أي مواعظ وحكما. قال أبو ذر رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صحف موسى ما كانت ؟ قال : كانت عبرا كلها :

- عجت لمن أيقن بالموت كيف يفرح !
- عجت لمن أيقن بالنار كيف يضحك !

- عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها !
- عجبت لمن آمن بالقدر ثم ينصب (أي يتعب في طلب الدنيا) !
- عجبت لمن آمن بالحساب ثم لا يعمل !

4. ما معنى الإيمان بهذه الكتب والصحف ؟ الإيمان بهذه الكتب والصحف يعنى الإيمان بأنها وحي من الله عز وجل (للأقوام الذين أرسل الله إليهم الرسل الذين بعثوا بها). وهذا لا يستلزم الاعتقاد بأن الكتب التي تسمى اليوم بهذه الأسماء (التوراة والأنجيل) أنها حق من عند الله. بل الحقيقة أن الكتب الإلهية الأصلية بدلت وحرقت. فالإيمان إذا يكون بالكتب الأصلية لا بالتي هي اليوم بين أيدي النصارى واليهود. فالنصارى واليهود صحيح أنهم أهل كتاب سماوي. لكن الكتب التي يتداولونها اليوم ليست أصلية.

5. إن منطلق ومعمد إيماننا بالكتب الإلهية المنزلة ليس هو التاريخ أو البحوث الاستكشافية بل هو القرآن الكريم أي الكتاب الإلهي الصادق الثابت. قال تعالى : "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق (أي القرآن) مصدقا لما بين يديه من الكتاب (أي مزكيا لما تقدمه من الكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل) ومهيما عليه (أي رقيبا ومؤتمنا عليها وشهيدا بما بينه من حقيقة أمرها) فاحكم بينهم (أي بين اليهود والنصارى) بما أنزل الله. ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (أي جعلنا لكل أمة شريعة أوجبنا عليهم إقامة أحكامها" (المائدة 48).

6. إن من إيماننا بالكتب الإلهية المنزلة إيماننا بتحريف التوراة والإنجيل. وقد تصدى القرآن الكريم لنقد التوراة التي بين يد اليهود وأثبت أن أتباعها قد غيروا وبدلوا في تعاليمها. قال تعالى : "من الذين هادوا (أي اليهود) يحرفون الكلم عن مواضعه" (النساء 46). وقال تعالى "يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به" (المائدة 13).

أي أغفلوا جزءا من أصل الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام. فما عند اليهود كما يصرح القرآن الكريم هو نصيب من الكتاب الأصلي للتوراة أي جزء منه وليس كل الكتاب. قال تعالى : "ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا (أي جزءا) من الكتاب (أي التوراة) يدعون إلى كتاب الله (أي القرآن) ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون" (آل عمران 23). كما أعلن القرآن الكريم - من جهة أخرى - أن النصارى نسوا وأغفلوا وبدلوا أجزاء من أصل كتاب الله الإنجيل. قال تعالى "ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا (أي جزءا) مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون" (المائدة 14).

7. إن الكتب السماوية (التوراة والإنجيل والزيور الأصلية والقرآن) تدعو جميعها إلى دين واحد يتمثل في توحيد الله عز وجل وفي عبادته والإخلاص له وفي التخلق بأهمات الأخلاق من بر الوالدين والإحسان إلى الجار والصدق والتواضع والبذل والصبر وحب الآخرين والامتناع عن الزنا والكذب والقتل والسرقة والأخلاق الرذيلة. وهو ما سماه الله بالإسلام وأخبر أنه دين كل الرسل والأنبياء وأنه لا يقبل تعالى غيره دينا. قال تعالى : "إن الدين عند الله الإسلام" (آل عمران 19). وقال : "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" (آل عمران 85). وقال تعالى : "ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما" (آل عمران 67). وقال "إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" (البقرة 132). وقال : "وإذ أوحيت إلى الخواريين (وهم أتباع سيدنا عيسى عليه السلام) أن آمنوا بي وبرسولي. قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون" (المائدة 111).

8. إن الكتب السماوية دعت كلها إلى دين واحد وهو الإسلام. والاختلاف بينها إنما وقع في بعض الأحكام العملية والتفصيلات الجزئية :

- في عقود المعاملات
- وفي بعض المسائل المحرمة
- وفي طريق النبوة من الذنب مما يتفق مع أحوال المجتمع واستعداد النفوس.

قال تعالى : "فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم" (النساء 160). أي بسبب ظلم اليهود وما ارتكبه من الذنوب العظيمة حرمنا عليهم أنواعا من الطيبات التي كانت مباحة لهم.

9. إن الكتب السماوية أعطت للإنسانية إجابات واضحة حول الأسئلة المصيرية الكبرى :

- حول خالق الكون الله جل جلاله وصفاته وعلاقته بالمخلوقات
- حول أصل الوجود وأصل الإنسان
- حول الغاية من وجود الإنسان ووظيفته في الحياة
- حول مصير الإنسان ومآله ومحاسبته على أفعاله يوم القيامة (يوم الحساب)
- حول القيم والأخلاق ومعاييرها وقواعد الحياة بين البشر

كما أخبرت على حقائق وجودية غيبية : الملائكة، القدر، الجن، اليوم الآخر، الحساب، الجنة، النار، الشياطين، إبليس ... فأين هي النظرية أو الفكر أو العلم الذي يعارض هذه الإجابات الإلهية. كل ما نسمع عنه لدى المفكرين هي تساؤلات فقط أو تخمينات أو احتمالات لا تقنع حتى أصحابها.

10. إننا معاشر المسلمين لدينا واحد من هذه الكتب السماوية وهو القرآن الكريم. وإنه الكتاب الإلهي الوحيد اليوم الصحيح سنده إلى الله الذي لم تصله يد التحريف والتغيير. فلتنبه إلى هذه النعمة العظمى التي أكرمنا الله بها نعمة تواجد كلامه تعالى معنا وفينا. فله الحمد والفضل والمنة أن جعلنا من أمة خاتم الأنبياء القائل "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي". اللهم اجزه عنا أعظم ما جازيت نبيا عن أمته.

ما هي المسائل التي حرفت في الكتب الإلهية التوراة والإنجيل ؟

1. عقيدة التوحيد : القرآن المجيد حافل بالنقد الشديد للعقيدة المسيحية. قال تعالى "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم. إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. وما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة. وما من إله إلا إله واحد. وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم" (المائدة 73).

2. أوصاف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن آمن به والتبشير به.

فقد أخبر الله عن قول عيسى بن مريم "يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (الصف 6). وقال تعالى : "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم. تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا. سيماهم في وجوههم من أثر السجود. ذلك مثلهم في التوراة. ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه (أي فروعه) فأزره فاستغلظ (أي فقواه حتى صار غليظا) فاستوى على سوقه (أي فقام الزرع واستقام على عوده) يعجب الزراع ليغيظ

بهم الكفار. (الفتح) وقال تعالى "الذين آتيناهم الكتاب (أي اليهود والنصارى) يعرفونه (أي سيدنا محمدا بأوصافه) كما يعرفون أبناءهم. وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون" (البقرة 146).

3. مزيا وخصائص كاذبة كالتصريح بأن اليهود شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه. وأن الله إلههم وحدهم. وأنهم لا يعذبهم الله بذنوبهم. قال تعالى : "وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه. قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق". (المائدة 18).

4. مسائل في التشريع : الحساب والجزاء في الآخرة وأخبار الأنبياء والرسول.

كيف حرف اليهود والنصارى التوراة والإنجيل ؟

التحريف من طرف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل ثم بطرق متعددة :

- بتأويل القول بحمله على غير معناه الذي وضع له
- بإخفاء القول وكتمانه
- بالزيادة والنقص في القول
- بنسيان وتناسي الأوامر والأحكام مع مر الزمان

قال تعالى : "يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به" (المائدة 13). وقال : "يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير" (المائدة 15).

اللهم إنا نسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفذ، وقرّة عين لا تنقطع
ومرافقة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جنان
الخلد.

وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وصحبه وأمته.

محمد العراقي الحسيني

(1)- هذا البحث كان موضوع خطبة الجمعة 11 غشت 2006 ألقيتها بمسجد
الرضوان بالدار البيضاء

الباحث

محمد العراقي الحسيني

- ✓ مواليد 1958 م
- ✓ دبلوم الدراسات العليا في اقتصاد المقاولات
- ✓ إجازة في الدراسات الإسلامية
- ✓ عمل أستاذا في المعاهد العليا الحرة للتجارة
لمادتي "التدقيق الداخلي" و"مراقبة التسيير"
- ✓ عمل في الميدان البنكي والصناعي في "التدقيق
الداخلي" و"مراقبة التسيير" و"تدبير الجودة"
و"التنظيم". ويعمل حاليا مدير "التدقيق
الداخلي" و"مراقبة التسيير" و"تدبير الجودة"
بشركة صناعية
- ✓ باحث في "التدقيق الداخلي" و"مراقبة التسيير"
و"المالية الإسلامية" و"التصوف" و"علوم الدين"
- ✓ أصدر كتابين في "التدقيق الداخلي" بالفرنسية
و"فقه صوم رمضان" بالعربية
- ✓ له مجموعة من البحوث تحت الطبع